الإسلام واللغة العربية في دول الطراز الإسلامي خلال العصر الإسلامي الوسيط (*)

أ. د. غيثان بن علي بن جريس

(*) دراسة منشورة في كتاب: دراسات في تاريخ أفريقيا والجزيرة العربية خلال العصور الإسلامية، لغيثان بن جريس (مطبوعات نادي جازان الأدبي، ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م) ، ص ص ١١٣ – ١٣٩ .



الإسلام واللغة العربية في دول الطراز الإسلامي خلال العصر الإسلامي الوسيط

(❖) نشرت هذه الدراسة في مجلة المؤرخ العربي بالقاهرة ، مجلد (١) العدد (٥) مارس (١٩٩٧) ص ١٦٥ – ١٩١ .

الإسلام واللغة العربية في دول الطراز الإسلامي خلال العصر الإسلامي الوسيط

لعبت الهجرات العربية الإسلامية إلى شرقي أفريقية دوراً هاماً في تشكيل تاريخ تلك المنطقة اقتصادياً وسياسياً ودينياً ؛ ذلك أن الإمارات والمراكز التي أنشأها العرب المسلمون في كل من أثيوبيا والصومال أسهمت إسهاماً إيجابياً في نقل الحضارة والفكر الإسلامي إلى الساحل الأفريقي وعلى الأخص أثيوبيا والصومال ، ومن ثم إلى الداخل[١] .

لم تكن سواحل أثيوبيا والصومال مجهولة لدى شعوب العالم الخارجي من أقدم العصور ، فقد كشفت البحوث التاريخية والأثرية عن وجود صلات قديمة ومستمرة بين هذه السواحل وشعوب العالم الأخرى ، ليس فقط الشعوب القريبة جغرافياً ، ولكن أيضاً الشعوب البعيدة مثل الهنود والصينيين. وقد اشتغل العرب كذلك بالدراسات الجغرافية والفلكية والطبيعية والتجارية . وأشهر الرواد العرب الذين تحدثوا عن الساحل الشرقي لأفريقية من الناحية العملية والنظرية هم : المسعودي وابن حوقل والإدريسي وياقوت الحموي وابن بطوطة والقلقشندي والمقريزي وأبو الفداء وغيرهم[٢].

وظهر تقدم العرب في فنون الملاحة وما تقتضيه من معارف ، أهمها معرفة الطرق البحرية الآمنة ، ونظام سير الرياح ومواقيتها ومواقع البلاد والجزر واختراع الآلات التي تساعدهم على الملاحة مثل البوصلة والإبرة المغناطيسية فضلاً عن رسم الخرائط . والعرب الذين اشتهروا بصناعة السفن هم عرب

الجنوب في الجزيرة العربية ، ولاسيما عرب عمان. وقد عرف عرب عمان بمهارتهم في صناعة السفن وتفوقهم في أعمال الملاحة ، وسارت سفنهم في المحيط الهندي حتى وصلت سواحل شرق أفريقية[٣] .

والثابت أن العرب هم أهم الشعوب التي اتصلت بأثيوبيا والصومال منذ القدم ، وأبقاهم أثراً في تلك البقعة من القارة ، وساعد على ذلك عامل القرب الجغرافي ، وقد نشطوا في الاتصال بأثيوبيا والصومال منذ زمن دول معين وسبأ وحمير التي كان لها نشاط كبير في الحركة التجارية البرية والبحرية ، وتمكنت من السيطرة على تجارة العالم القديم في المحيط الهندي وسواحل أفريقية الشرقية . كما كان لعرب الحجاز دور كبير في الاتصال والتجارة ، وقد سيطروا سيطرة تامة على التجارة وطرق القوافل بعد تدهور دول الجنوب منذ القرن السادس الميلادي[٤].

وقد قامت الدعوة للدين الإسلامي في أثيوبيا منذ ظهوره ، ويمكن أن يؤرخ لدخول الإسلام في أثيوبيا بهجرة المسلمين الأولى إلى الحبشة ، وخاصة بعد أن أظهر النجاشي أرماح (أصحمة) إعتناقه للإسلام . وتدفقت على أثر ذلك مجموعات ضخمه من دعاة الإسلام من عرب وغيرهم لإنشاء مراكز عربية ثابته ، ونشر الإسلام بين القبائل التي كان من أهمها :الصوماليون والأحباش والدناقل والجالا والبجه والبانتو ، ومن بينهم الإريتريون وغيرهم . ثم كثر توافد المسلمين بعد ذلك للأهداف التجارية بعد أن دانت لهم بلاد العرب ، وأصبحوا يتحكمون في طرق القوافل داخل الجزيرة العربية ولاسيما بين عدن وصنعاء ، كما أسهموا بنشاط كبير في التجارة الشرقية بين مصر والهند عن طريق البحر الأحمر . وعبرت مجموعات قليلة من تجار العرب إلى الساحل الغربي للبحر الأحمر ، كما اخترق عدد من هؤلاء الحدود الحبشية وأسسوا لهم مراكز

استقرار بالتدريج ، بل إن العرب المسلمين استطاعوا بنشاطهم أن يتحكموا في ميناء عدوليس (Adulis) وهو ثغر الحبشة وميناؤها العظيم[٥] .

كانت مملكة أكسوم الحبشة المسيحية في ذلك الوقت في طريقها إلى الانحطاط ، وفي الوقت نفسه كان الإسلام ينتشر بخطى واسعة من الساحل إلى الداخل حيث بدأ المسلمون في الإمتزاج بالوطنيين وصاهروهم ، فأخذ الإسلام ينتشر تدريجياً ، فأعتنقته عناصر الساهو والعفر في شرقي الحبشة ، كما أنه امتد إلى مناطق السيدامو وشوا الشرقية في جنوبي الحبشة[٦] . وانتشر المسلمون شمالاً في ارتيريا ومنطقة البجه ، وشجعهم على ذلك غنى تلك المناطق بمعادن الذهب والزمرد والفضة والنحاس والرصاص والحديد . وقد تزايد عدد المسلمين في الحبشة وإرتريا ومنطقة البجه ، وأشتهر من القبائل العربية التي استقرت في هذه المناطق قوم من ربيعة وقحطان ، إلا أن قبائل ربيعة كانت أقوى العناصر ، حتى سادت وغلبت على ما جاورها من العرب القحطانيين[٧].

لقد امتدت الرقعة الإسلامية على طول منطقة القرن الأفريقي وفي داخلها حتى منطقة وادي النيل الجنوبي والأوسط ، حيث قامت مشيخات إسلامية في فترة التوسع الإسلامي البارزة التي تقع مابين القرنين الرابع والسادس الهجريين (العاشر والثاني عشر الميلاديين) ، وهي فترة التوسع لمنظمة الإسلام ديناً ودولة من ناحية نشر العقيدة الإسلامية وتدعيم سلطان المماليك والمشيخات الإسلامية داخل البلاد الحبشية ، وعلى حساب مملكة أكسوم الحبشية المتداعية . وقد تحولت كل منطقة نهر جوبا للإسلام ، وامتدت الرقعة الإسلامية حتى منطقة البحيرات العظمى وذلك في عام (٥٠٢هـ/١١٠٨م) [٨].

لقد تلا قيام المشيخات الإسلامية التي سبقت الإشارة إليها مثل عدال وهر وهوبات ، التي لم تعمر طويلاً نظراً للخلافات التي قامت فيما بينها فضلاً عن عنايتها كانت منصبة على شئون التجارة ، ولاسيما تجارة الرقيق ، تلا ذلك قيام ممالك إسلامية قوية ومزدهرة أصبحت تحيط بالحبشة المسيحية من كل جانب ، وأصبحت هذه الممالك الإسلامية تسيطر على كل الرقعة الإسلامية الممتدة من سواحل البحر الأحمر والمحيط الهندي وأجزاء من أفريقية الشرقية الممتدة من الساحل إلى الداخل الأفريقي ، وأصبحت بذلك الوضع الجغرافي الممتاز تحيط بالحبشة من الناحية الشرقية وتقابل اليمن في الجزيرة العربية ، ولأجل ذلك الوضع الجغرافي نعتها المؤرخون بمنطقة الطراز الإسلامي ، لأنها على جانب البحر كالطراز له (٩) . واشتهر في هذا الطراز إمارات سبع أو ممالك سبع وهي أوفات ، دوارو ، أربيني ، هدية ، شرخا ، بالي ، وداره (١٠) وهذه عدا مشيخات الساحل الصومالي التي امتدت على طول الساحل المعروف بساحل الزنج (١١) . وقد أفردنا لمملكة أوفات الإسلامية حيزاً خاصاً في مقالين مختلفين(١٢) .

لقد اتسم تكوين هذه الممالك بالطابع السلمي التجاري أو الاقتصادي بصفة عامة ، ثم إن هذه الممالك ارتبطت بالعالم الإسلامي ، وتوطدت صلتها به عن طريق التجارة والحج وانتقال طلاب العلم للدراسة في مكة المكرمة والمدينة المنورة ودمشق والقاهرة . وصار لرواد الثقافة الإسلامية أروقة خاصة بهذه المراكز ، فهناك رواق أهل الزيلع بالمسجد الأموي بدمشق ، وكذلك أفرد رواق لهؤلاء بالأزهر يعرف برواق الجبرتية (١٣).

لقد ظلت هذه الممالك التي أمها المسلمون لقرون عديدة مراكز نشاط ومدنية ، وارتكزت شهرتها على أنها وسيطه بين عواصم العالم الإسلامي الكبرى وبقية أجزاء أفريقية المجاورة في نقل الفكر والثقافة الإسلامية .

وتطورت هذه الممالك الإسلامية بفضل تجمع العلماء والفقهاء الذين وفدوا إليها من مكة المكرمة والمدينة المنورة ودمشق وبغداد والقاهرة . لذلك ظلت الصبغة العربية هي البارزة والمميزة في منطقة القرن الإفريقي خلال فترة العصور الإسلامية الوسيطة ، فأسهم العرب في هذه البلاد بالآداب والعادات التي اتصفوا بها ، وظلت الثقافة العربية تشع وتنتشر حتى بعد ذهاب النفوذ العربي الإسلامي في القرن الثالث عشر الهجري(التاسع عشر الميلادي). وكان أعلام المسلمين في هذه البلاد يفكرون بالعقلية العربية الإسلامية ،ويكتبون باللغة العربية ،وهم في إنتاجهم ونشاطهم إنما يعبرون عن حضارة عربية إسلامية سادة في منطقة الطراز الإسلامي ردحا من الزمن(١٤) .

وعلى الرغم من أن المجتمع الإسلامي في بلاد القرن الأفريقي يتكون من أجناس متعددة ، وأمم مختلفة في صفاتها وعاداتها وثقافاتها ، فإنها بعد إسلامها وبسببه أخذت تتصهر جميعاً في بوتقة الحضارة الإسلامية في ظل رعاية دول الطراز الإسلامي وكنفها ؛ لان الدين الإسلامي عامل هام من عوامل الانسجام بين الشعوب التي تدين به ، والدين الإسلامي فضلا عن انه عقيدة ، فإنه كذلك نظام اجتماعي كامل ، ومجموعة من الأخلاق والقواعد والأنظمة التي يستطيع الناس أن يعيشوا بمقتضاها (١٥) .

١- سلطنة أوفات :-

كانت سلطنة اوفات هي أقوى سلطنة إسلامية قامت في الحبشة بسبب تحكمها في الطريق التجاري الذي يربط الداخل بميناء زيلع ، وقد أسسها قوم من قريش من بني عبد الدار أو من بني هاشم من ولد عقيل بن أبي طالب ، قدم أولهم من الحجاز واستوطنوا مدينة أوفات ، وقد اشتهر قوم منهم بالصلاح ، وظهر من بينهم رجل يسمى عمر ويلقب " ولشمع " حكم مدينة أوفات وأعمالها

واعترف بسلطان النجاشي . ولم يتضح تاريخ أوفات إلا في حوالي (٧٠٠هـ / ١٣٠٠م) حين أورث عمر هذه المملكة لأولاده الأربعة أو الخمسة الذين تولوا عرشها واحداً بعد الآخر ، وذلك بموافقة ملك الحبشة . إلا أن سلطنة أوفات هي التي تزعمت حركة الجهاد ضد الحبشة ، وقامت مع غيرها من دول الطراز الإسلامي بدور كبير في نشر الإسلام والثقافة الإسلامية (١٦) .

٢- سلطنة بالي:-

تقع جنوب سلطنة دارة ، ويحدها شمالاً نهر وبيي ، ومن الجنوب نهر حرانا إلى دوريا ، وبهذا الوضع تتحكم في وادي الصومال ، والعنصر الغالب في سكانها عنصر السيداما ، ويسكن جنوبه فريق من عنصر الجالا . وتعتبر هذه السلطنة أكثر بلاد الزيلع خصوبة ، وتختلف عن شقيقاتها الإسلامية في أن الملك لم يظل كغيرها ، محفوظاً في أسرة معنيه ، بل حدث في القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) أن انتقل الحكم إلى رجل ليس من بيوت الملك ، وذلك بمساعدة ملك الحبشة (١٧) . وفي بقية المظاهر تقترب هذه السلطنة من السلطنات الإسلامية وتسير المعاملة فيها بالتبادل ، وأهلها على المذهب الحنفي (١٨) .

٣- سلطنة هدية:-

تقع إلى الغرب من دول الطراز الإسلامي وتجاور أرابيني ، وتشغل مساحة واسعة بين نهري هواش وجيي ، وليست حدودها معروفة بدقة شأنها كشأن باقي الولايات الإسلامية وتتكون من(٨) مقاطعات (١٩) ، وبرغم أنها دون أوفات في المساحة والامكانيات، فإنها أقوى المماليك السبع وأكثرها خيلاً ورجالاً ، ويقال إن عدد جنودها بلغت نحواً من (٤٠) ألف فارس سوى الرجالة الذين يبلغون ضعف

هذا العدد تقريباً. ومع أن الطبقة الحاكمة فيها إسلامية ، فإن أغلب رعاياها على الوثنية ، وهؤلاء الرعايا من السيداما والجوارجي والشابو ، وهذا الأخير خليط من العنصرين الأولين [٢٠] .

وتقترن شهرة هدية بتجارة الخصيان من الذين يجلبون إليها وهؤلاء يعرفون في مصر باسم الطواشية ، وقد حضر ملك الحبشة هذه العملية الوحشية ، غير أن اللصوص مافتئوا يسطون على العبيد ويأتون بهم إلى بلدة وشلو القريبة من هدية ، وسكان وشلو هذه همج متبربرون، يخصى العبيد عندهم لدرايتهم بالخصي ، وهذا هام لتجار النخاسة، إذا إن الخصي أرفع ثمناً من غيره ، وبعد إتمام عملية الخصي يحمل هؤلاء إلى هدية حيث يعالجون مرة أخرى حتى يبرأوا نظراً لأن مجرى البول يكون قد انسد بسبب القيح عند الخصي ، ولأهل هدية دراية بعملية العلاج والتطبيب ، ومع ذلك فإن العدد الذي يموت من الخصيان بسبب هذه العملية أكثر من الذي تكتب له الحياة ليباع مصدراً من هدية[٢١]

٤ـ سلطنة دارة :ـ

تقع على حدود أوفات الغربية وشمال شرقي هدية في منطقة السيداما . وتعدّ أضعف اخواتها حالاً ، وأقلها خيلاً ورجالاً ، ولكنها تستطيع أن تقيم جيشاً يعادل في قوته جيش أوفات إذ عنيت بهذه الناحية ’ ولا تختلف كثيراً عن غيرها من الإمارات الإسلامية ، فأهلها مسلمون على المذهب الحنفي ومعاملتها بالمبادلة[٢٢].

٥ـ الإمارات الإسلامية الأخرى :ـ

أما الإمارات الإسلامية الأخرى : دوارو وأرابيني وشرخا ، فهي إمارات صغيرة قليلة الأهمية ، ولم يذكر عنها سوى أن أهلها مسلمون أحناف ، وأن عدة

عساكر الأولى تقترب من قوة أوفات في الفارس والرجال ، وفرسان الثانية نحو عشرة آلاف غير الرجالة ، بينما لا تتجاوز قوة الأخيرة ثلاثة آلاف فارس سوى الرجالة (٢٣) .

والخلاصة ، فإنه لن تكن هناك سيادة عامة مستمرة لإحدى تلك الدول التي عرفت بالطراز ، وإنما وجدت سيادات مؤقتة في بعض الفترات ، تحققت عن طريق القوة أو الدبلوماسية أو المصاهرات. وكانت في معظم الأحيان مستقلة داخلياً وتدفع الجزية أحياناً كثيرة ، وذلك عندما تنضوي تحت لواء سلطنة أوفاة أكبر دول الطراز الإسلامي في منطقة القرن الأفريقي خلال فترة العصور الإسلامية الوسيطة (٢٤) .

لقد أسهمت هذه الدول إسهاماً إيجابياً في نقل الحضارة والفكر الإسلامي والعربي في منطقة القرن الأفريقي وفي داخل بلاد أثيوبيا أو الحبشة . هذا بالإضافة إلى الدور الذي لعبته في تاريخ المنطقة اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً . فأستمر دفع الحضارة الإسلامية في تلك المنطقة في الانتشار والازدهار حتى بلغ أقصى مداه في نهاية القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) وذلك في زمن المجاهد الإسلامي الكبير أحمد الجران (أحمد بن جرا) ، حيث أشتدت الدعوة لمناهضة النصرانية ونشر الإسلام واللغة العربية في هذه البلاد(٢٥)

والثابت أن الدعوة الإسلامية في بلاد الطراز الإسلامي والحبشة المسيحيه، كما في غيرها من المناطق ، ارتبطت باللغة العربية ، لغة القرآن والعلوم الإسلامية . وسار الإسلام واللغة العربية جنباً إلى جنب مع الجهاد في سبيل نشر الدين وتوسيع رقعة البلاد الإسلامية ، فضلاً عن تنشيط الحركة التجارية(٢٦)

ومنذ فجر التاريخ والقلم العربي هو القلم المعروف في أفريقيه دون غيره ، وكانت هناك علاقة قديمة بين العرب وبين الحبشة والزنج ، وكان ذلك قبل القرن السابع الميلادي ، أي قبل دخول الإسلام في القارة الأفريقية . وقد اشتهرت عدة طرق للقوافل ، كانت تبدأ من زيلع وهرر وسواكن وأوفات ، فتجتاز هضاب الحبشه إلى الداخل حتى منطقة البحيرات . وقد تولى العرب أمر هذه التجارة منذ أزمان بعيدة ، حيث يجتازون الصعاب ، ويخترقون الهضاب والوديان التماساً للرزق . وكان العرب ينشدون الذهب والعاج والأبنوس والرقيق والبخور ، مقابل بضائعهم التي كانوا يحضرونها معهم والتي كانت تتمثل في الحرير والسروج والسيوف والنحاس والملح وأنواع شتى من المنسوجات ، فيبيعونها ويشترون الذهب والجلود والعاج والعبيد وغير ذلك(٢٧).

نستطيع القول إن هذه العلاقة التجارية بين العرب ومنطقة القرن الأفريقي والحبشة التي بدأت في القرن الأول الهجري (السابع الميلادي) وازدهرت بعد القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) تمثل أولية اللغة العربية في تلك البلاد ، ولقد نمت هذه العلاقة بطريقة سليمة طبيعية منذ ذلك التاريخ إلى أن تمت بانتشار الإسلام في كل بلاد أفريقية الشرقية ، فالتجارة بطبيعة الحال تلزمها لغة التخاطب بين البائع والمشتري كما تولد الصلة بينهما ، وبما أن اللغة العربية كانت أرقى من اللغات المحلية ، فمن الطبيعي أيضاً أن تكون هي المستعملة في ذلك الزمن ، ومن الطبيعي أيضاً أن يلتقطها التجار والأهالي من إخوانهم العرب وينشرونها فيما بينهم ، وهذه العلاقة التجارية إذن هي التي وضعت الحجر الأساسي للغة العربية في أفريقية الشرقية ، وبدأ أولئك التجار يدخلون كلمات وتعابير عربية في تلك المناطق ، فانتشرت تلك الكلمات والتعابير تدريجياً حتى توغلت في ربوع أفريقية ، واندمج بعضها في اللهجات المحلية ، وخاصة بعد انتشار الإسلام . ومما يؤكد هذا وجود كلمات عربية كثيرة في بعض اللغات الأفريقية

مثل لغة السواحيلي والأحباش ، وخاصة أسماء تلك البضائع التي كانت تصدر إليها من اليمن وعمان والحجاز في تلك القرون الغابرة ، وهذا فضلاً عن الكلمات والتعابير الإسلامية التي دخلت مع دخول الإسلام فنجد في اللغة السواحيلية والأثيوبية مثلاً أن أسماء هذه البضائع عربية ، فكلمة السرج والحرير والزعفران واللجام والقلم والدواة وأمثالها كلها وافدة على اللغة السواحيلية والأثيوبية ، وتنطق بتحريف بسيط [٢٨] . لذلك يمكن القول أن اللغة العربية قد تركت آثارها في عدد من اللغات المحلية لدرجة كبيرة ، وظهر هذا الأثر واضحاً في لغة السواحيلي وبعض اللهجات الأثيوبية والصومالية والأريتريه . ويوجد في هذه اللغات الكثير من الكلمات ذات الأصول العربية بل إن الحروف العربية استخدمت في كتابة اللغة السواحيلية منذ زمن مبكر ،كما استخدمت في اللغات الصومالية والامهرية[٢٩].

وقد ساعد على انتشار اللغة العربية والتمسك بها ، فضلاً عن الجانب الديني المرتبط بها ، أن الكثير من الشعوب الأفريقية وعلى طول الساحل الشرقي الممتد من زيلع شمالاً إلى سوفالاً جنوباً ، ادعت الأصول الشرقية ، لقد ادعى ملوك أوفات وهرر وزيلع ومقديشو وكلوة وغيرهم ، أنهم انحدروا من الشرق. ومن العوامل التي ساعدت على انتشار اللغة العربية في أفريقية الشرقية الإسلامية هجرة القبائل العربية إلى تلك البلاد واستقرارها فيها ، وهذه الهجرات ـ كما سبق القول ـ قديمة وسابقة على دخول الإسلام ، وازدادت بانتشار الإسلام ، ثم أن مصاهرة العرب مع القبائل الأفريقية ساعد على انتشار اللغة العربية بجانب الإسلام مثل قبائل الأمهرة والدناقل والاريتريين والأحباش والصوماليين. وظفر الإسلام واللغة العربية بنجاح كبير في هذه البلاد ، فأدى ذلك إلى تقدمها وتطورها ، فتطلعت إلى البلاد الإسلامية في الشرق والشمال الشرقي من أجل العقيدة والمدنية ، ولم تحل صعاب البحر والمحيط دون الاجتياز[٣٠].

ويقترن العهد الزاهر للغة العربية والعلوم العربية الإسلامية في منطقة القرن الأفريقي بصفة خاصة، وبلاد شرقي أفريقية بوجه عام، بعهود الدول الإسلامية الكبرى، أوفات ، زيلع ، هدية ، مقديشو وكلوة،وبقية دول الطراز الإسلامي بصفة عامة . فقد كانت اللغة العربية اللغة الرسمية السائدة فيها، واستخدمت في شتى الأغراض وأوفت بها ، واستخدمت في مجال الحكم والإدارة والقضاء ثم هي لغة المكاتبات الرسمية بين هذه الدول والعالم الإسلامي الخارجي . ووجد في الدواوين المصرية زمن المماليك صيغ عربية لمخاطبة ملوك تلك البلاد، ولا بد من تصدير المكاتبات بها [٣١] .

يتضح من هذا العرض السريع أن اللغة العربية كانت اللغة الدولية في العصر الإسلامي الوسيط في جميع البلاد الإسلامية ، واستمرت كذلك حتى بداية التدخل الأوروبي في شئون البلاد الأفريقية الإسلامية . فكانت اللغة العربية طيلة هذه القرون هي لغة الدين والثقافة والتجارة ، ثم هي لغة الحكومة والإدارة والقضاء ، كما أصبحت لغة تخاطب في كثير من بلاد الأحباش والصومال والسواحيلي عامة[٣٢] ، مع وجود اللغات المحلية كلغة الأمهرا والتيجري والبني عامر والدناقل والصومال والسواحيلي ، هذا بالإضافة إلى بعض اللهجات الأفريقية القديمة كلغة البانتو والبوشمن والهوتنتوت ، ثم إن اللغة العربية من بعد، هي لغة المراسلات الدولية والوثائق والمعاهدات[٣٣] ، بمعنى آخر كانت اللغة العربية هي اللغة السائدة (Lingua Franca).

❖ مراحل انتشار اللغة العربية :-

مر ازدهار اللغة العربية الذي اقترن بانتشار الإسلام في بلاد إفريقية الشرقية بوجه عام بمراحل عديدة :-

فالمعروف أن الإسلام قد بدأ ينتشر في تلك البلاد منذ ظهوره ، وقد ساهم الأفريقيون مع العرب بنشر الدعوة الإسلامية منذ مطلع القرن الأول الهجري ، بل

إزدياد الهجرات العربية والإسلامية أدت إلى ازدياد الداخلين في الإسلام . فالصلة التجارية والثقافية قديمة منذ الأزمنة السحيقة بين بلاد القرن الأفريقي(الحبشة والصومال) وبلاد العرب ، وقد كثرت هجرات المسلمين بعد ظهور الإسلام ، من العرب والفرس وغيرهم . واحتكر التجار المسلمون عملية الاتصال بهذه البلاد لأسباب دينية وتجارية ، واستقرت أعداد كبيرة منهم في تلك البلاد ، وهناك جهود دول الطراز الإسلامي[٣٤] ، التي تفانى ملوكها في نشر الإسلام واللغة العربية بين سكان هذه البلاد من الأمهرا والتيجري والصوماليين والأحباش والارتيريين . وقد بلغت هذه الدول ذروة قوتها وعظمتها خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين (العاشر والحادي عشر الميلاديين)، فقامت بدور كبير بنشر الإسلام والعلوم الإسلامية العربية [٣٥] .

وقد ذكر ابن بطوطة أن ملوك هذه البلاد كانوا شديدي الحماس لنشر الإسلام واللغة العربية بين قومهم وبين القبائل الأفريقية المجاورة من ناحية الغرب والجنوب [٣٦] . وكان حماس هؤلاء الملوك من العناصر الهامة في ازدياد انتشار الإسلام ، كما أن الصلات المتنوعة والجهود البارزة لملوك دول الطراز الإسلامي قد أدت إلى اتساع رقعة البلاد الإسلامية في أفريقية الشرقية . ولما كانت الحبشة جزءاً من شرقي أفريقية ، فلا ريب أن الإسلام دخلها وانتشر بين سكانها ، بدرجات متفاوتة ، وذلك بفضل جهود ملوك دول الطراز المجاورين لها ، أو الخاضعين لسيادتها في بعض الفترات . والراجح أن عدداً كبيراً من سكان الحبشة المسيحية قد اعتنق الإسلام ، وأن مظاهر هذا الدين من الشعائر والمساجد والثقافة واللغة العربية ، قد وجدت طريقها إلى بلاد الحبشة منذ زمن مبكر ، قبل قيام دول الطراز الإسلامي . وقد برزت الآثار الإسلامية في بلاد الطراز الإسلامي وفي بلاد الحبشة والقرن الأفريقي بوجه عام ، وأوضح ما كانت في هدية وأوفات ودوارو وأرابيني وشرخا وبالي وهرر وزيلع . وقد ضمت

اوفات وحدها نحو اثنى عشر مسجداً ، وكذلك هدية وهرر ، وألحق بكل مسجد مدرسة لتعليم القرآن وقواعد الدين واللغة العربية . كما أن نواحي هذه البلاد كانت ملأى بالعلماء والفقهاء والأئمة (٣٧) ، وأصبحت مدن هذه البلاد مثل أوفات وزيلع وهدية وهرر مراكز ثقافية عربية إسلامية ، كما كانت مراكز لنشر الدعوة الإسلامية. وكانت اللغة العربية هي لغة العبادة والثقافة الوحيدة في البلاد ، وهذا بجانب كونها لغة التجارة المستعملة في التبادل التجاري والمكاتبات. وتبوأت هذه اللغة في الحبشة والطراز الإسلامي المكانة التي تبوأتْها اللغة اللاتينية في أوروبا في العصور الوسطى ، بل زادت عليها ، إذ بقيت اللغة العربية بتلك البلاد لغة للدين والثقافة حتى في العهد الاستعماري في أفريقية ، بينما زالت اللغة اللاتينية تدريجياً أمام زحف اللغات الجرمانية القومية بأوربا بتلك العصور ، وأكثر من هذا ، شهد بعض المكتشفين والمستعمرين في مطلع العصور الحديثة ، بأن المام سكان شرقي افريقية باللغة العربية ، يفوق إلمام أوروبا باللغة اللاتينيه في العصر الوسيط (٣٨)

ومما يذكر أن ملوك دول الطراز الإسلامي كانوا يرسلون العلماء بين القبائل لبث العقيدة الصحيحة. وأقبل الأفريقيون المسلمون من سكان هذه البلاد على مناهل العلم العربية في حماس تلقائي ، بسبب ما اتصف به انتشار الإسلام ولغته من تسامح وفضائل ، وبفضل ما أمتاز به المسلمون الذين استقروا في هذه البلاد ، والذين اتصلوا بتلك البلاد ، من كفاءة وخبرة في شتى الميادين الاقتصادية والإدارية فضلاً عن الجانب الثقافي ، إذ كان المسلمون يمثلون حضارة رفيعة ومدنية سامية ، بدليل استعانة ملوك دول الطراز بهم في أجل أعمالهم . فالمسلمون في بداية الأمر هم الذين كانوا يعرفون القراءة والكتابة ، فلذلك كانوا هم الذين يساعدون الملوك (٣٩)، وهذا دليل على انتشار الثقافة الإسلامية التي توسعت وانتشرت بعد ازدهار دول الطراز الإسلامي .

وبالإضافة إلى الدور الذي قام به التجار والدعاة في نشر الإسلام في بلاد القرن الأفريقي وما جاورها شمالاً وغرباً وجنوباً ، فهناك عامل آخر ساعد على نشر الإسلام واللغة العربية في تلك البلاد المجاورة من الحبشة وارتيريا حتى الصومال الشمالي وهضبة البحيرات حتى أعالي نهر النيل الأزرق ، وتلك هي الهجرة التي قام بها التجار المسلمون من مقديشو و مركه وبراوة إلى مدن القرن الأفريقي ، وخاصة أثر غزو الشيرازيين الفرس لتلك البلاد و الاستيلاء عليها ، فانتشر التجار في هذه البلاد وأقاموا مراكز تجارية أصبح لبعضها أهمية عظيمة وأثر كبير في نشر الدين و الثقافة العربية في شرقي أفريقية[٤٠] .

لقد وجدت المدارس الكثيرة أيضاً في جميع المدن المشهورة بجوار المساجد ، مثل مدارس هدية وبالي وشرخا و أوفات ، ويقول ابن بطوطه أن أهل مدينة زيلع قدماء في الإسلام ولهم ديانه وطلب علم وبجانب الاهتمام بالقران ، كما ذكر ابن بطوطه ، هناك الاهتمام بلغة القرآن ، وهي اللغة العربية التي اكتسبت مسحة من التقديس عند مسلمي شرق أفريقية عامة[٤١] . ولم تكتف قبائل هذه الدول بدخول الإسلام ، بل طبعت بطابع عربي بسبب انتشار اللغة العربية في تلك البلاد . وهناك خصائص معينة في نطق الحروف العربية بين مسلمي شرقي أفريقية ،أما طريقة الكتابة ، فهي طريقة الخط الكوفي .

ساعد ازدهار دول الطراز الإسلامي ، وأتساع رقعتها وعظمة ملوك المسلمين وتفانيهم من أجل خدمة الإسلام و الثقافة الإسلامية على أن تترك اللغة العربية أثرها القوي في اللغات المحلية ، ولاسيما لغات السواحيلي و الأمهرا والتيجري ، فاستخدمت اللغة العربية منذ ذلك التاريخ في كتابة اللغة السواحيلية ولا تزال إلى اليوم.

كان العامل التجاري من عوامل ازدهار اللغة العربية وانتشارها على نطاق واسع حول هضبة الحبشة والبحيرات و ماجاورها. وكانت طرق القوافل التجارية تبدأ من زيلع وأوفات وتتجه إلى الجنوب عن طريق هدية وبالي إلى أن تصل أكسوم وهرر إلى داخل أثيوبيا ، وهذا مما يسهل وصول التجار المسلمين إليها وبالتالي دخول الإسلام وتعلم اللغة العربية . فلا شك أن التجار هم الذين أدخلوا الإسلام في تلك المنطقة [٤٢] .

لقد استطاع ملوك هدية وبالي وأوفات في أيام ازدهار دولهم إيجاد علاقة سياسية وتجارية بين حكوماتهم والبلاد العربية الإسلامية وخاصة الحجاز واليمن ومصر ، وبالطبع فهناك الكثير من المراسلات التي جرت بين هذه الدول وتلك البلاد العربية ، والظاهر أن العلاقة مع الحجاز كانت بسبب الحج ، إذ إن من المعروف أن كثيراً من ملوك أوفات وهدية كانوا يؤدون تلك الفريضة[٤٣] .

ولاشك أن العلاقة التي كانت موجودة في تلك القرون الغابرة قد ساعدت كثيراً في نشر الثقافة العربية الإسلامية في تلك المنطقة ، فقد انتشر فيها التعليم وكثر من يتكلم باللغة العربية ، وكثر العلماء . ومما ساعد في نشر اللغة العربية وجود عدد كبير من العرب الوافدين إليها من اليمن ، ومن قبائل ربيعة التي أستقرت بعض بطونها في بعض مدن هذه البلاد حتى ارتيريا[٤٤] .

ويضاف إلى هذه الأدوار ما قامت به بعض القبائل العربية مثل قحطان وربيعة وبعض القبائل اليمنية مثل الأزد وغيرهم ، وقد أشتد حماس هذه القبائل لنشر الإسلام في زمن ازدهار دول هدية وبالي وأرابيني ، فانتشرت الثقافة العربية الإسلامية بفضل جهود ملوكها الذين نشروا الإسلام والثقافة الإسلامية في مناطق عديدة يقع بعضها في الهضبة الحبشية وبعضها الآخر في منطقة البحيرات

، لذلك تمثل مرحلة هذه الدول وقبائلها العربية العصر الذهبي لازدهار وانتشار اللغة العربية وتقدم العلوم والثقافة الإسلامية في بلاد شرقي أفريقية[٤٥]

فعندما قام الإمام أحمد بن جرا بالجهاد ونشر الإسلام في القرن العاشر الهجري ، كان أكبر همه تحطيم الوثنية والقضاء على الحركة الصليبية النصرانية ، ونشر مبادئ الإسلام الصحيحة والثقافية العربية . ولم يكن أيضاً حكام هذه البلاد الذين نظموا دولهم وإماراتهم حسب النظم الإسلامية يدعون أنفسهم أو يدعوهم الناس سلاطين أو أمراء ، إنما كانوا يدعون مؤدبين أو معلمين أو شيوخاً لعلمهم وورعهم بالإضافة إلى أهميتهم ومكانتهم .

إن هؤلاء الحكام هم الذين يباشرون الحكم بين رعيتهم حسب الشريعة الإسلامية ، كما كانوا يباشرون الأمور السياسية أيضا ، ويؤمونهم في الصلاة ،وفضلاً عن ذلك فقد كانوا يقومون بتدريس العلوم الدينية في أوقات فراغهم ، وكانوا مثلاً في التواضع والزهد . وعلى الرغم من أن دول الطراز الإسلامي لم تفتح مدارس رسمية نظامية على النظام المدرسي الحديث ، فإنها شجعت ذلك التعليم تشجيعاً بالغاً ، فكان معظم الملوك والحكام دعاة ومعلمين ، وكذلك كان الوزراء والقضاة ، يجعلون بيوتهم مدارس ويفتحون أبوابهم على مصاريعها لطلاب العلم ولغير الطلاب من كافة المسلمين ، وكان من الطبيعي أن يقلد الطلاب قادتهم وأساتذتهم ،ومن ثم كثرت المدارس القرآنية ، وتعددت المجالس العلمية في معظم مدن دول الطراز الإسلامي وانتشر التعليم الديني ، وكثر التأليف، فأصبح ذلك العصر عصر نهضة في شتى العلوم النقلية وغيرها. ويمكن القول إن تعليم اللغة العربية قد نال أهمية كبيرة في فترة ازدهار هذه الدول [٤٦].

ولم تكن مناهج الدراسة في تلك المدارس القرآنية منظمة تنظيماً دقيقاً كالذي نعرفه الآن في المدارس ، ولم تكن محدده . لكن ينتقل الصبي في تلك

المدارس الكثيرة من المرحلة الأولية وهي المدارس القرآنية ،ويستمر بعد ذلك في تلك المدارس متنقلاً من عالم إلى آخر ،حتى يصل إلى المستوى المقصود ،ثم يدخل في سلك العلماء ويقتفي أثرهم فيدرس كما يدرسون . وكان الطلبة دائماً يعتمدون على الكتب التي تدرس وعلى المدرس الذي يدرسها على طريقة الأزهر القديم ، حيث إن أساس التعليم مبني على الشيخ والكتاب فقط . وكان الطالب يتنقل من عالم إلى آخر ، وربما كان الانتقال في بعض الأحيان من واحد إلى آخر التماساً للعلم حتى يأخذ كفايته(٤٧). لقد عكف العلماء على تعليم اللغة العربية وتعلموها لغة وأدباً ، وألفوا بها كتباً كثيرة في شتى الفنون . ولقد أنتج العلماء والأدباء في تلك الفترة كثيراً ، وألفوا كتباً ورسائل عالجوا فيها الكثير من المشكلات الدينية و الاجتماعية والسياسية(٤٨)

لقد أعطى المجتمع الإسلامي هناك العلم والعلماء منزلة عالية ، وتمنى كل طالب أن يكون عالماً من علماء الدين ، واندفعوا إلى مجالس الفقهاء والعلماء للتزود من مناهلهم العلمية . وبذل العلماء مجهودات هائلة لأداء رسالتهم العلمية ،وساعد على ذلك قرب المنطقة من موطن الحضارة الإسلامية في مكة والمدينة والقاهرة ودمشق . ونزحت إلى هذه البلاد جميع الفرق والمذاهب المعروفة –آنذاك – في العالم الإسلامي ، كما رحل كثير من أبنائها إلى تلك البلاد ، فتنوعت الحياة الثقافية . وركز سلاطين الطراز على الالتزام بخلق الإسلام في المجتمع ، وفي الإدارة الحكومية ، كما اتخذوا ألقابا متصلة بالدين كسعد الدين وجمال الدين ومعز الدين وغيرها . كما أصبح العلماء مجموعة ذات وجود مؤثر في البلاط السلطاني في الحياة الثقافية والاجتماعية في هدية وأوفات وهرر وزيلع وأرابيني . وقاد العلماء حركات الجهاد كالشيخ محمد أبي عبد الله والشيخ حق الدين الثاني وأحمد بن إبراهيم الجران ، كما تولى بعضهم مهمة السفارات كالشيخ عبد الله الزيلعي(٤٩)

ومهما يكن من أمر ، فقد ازدهرت الحركة العلمية ، وتعدد العلماء والفقهاء الذين يقومون بأمور الدولة ، وبتدريس الدين واللغة العربية التي تدون بها الدواوين على الطريقة الإسلامية . كما كان لدول الساحل الإسلامية مثل : كلوة وأوفات وهدية وأرابيني قضاة ومحاكم شرعية وأئمة للمساجد وكتبة ، مما يستدعي وجود طائفة متمكنة من الثقافة الإسلامية . كما ساعد ازدهار دول الطراز واتساع رقعتها ، وعظمة ملوكها ، وتفانيهم في خدمة الإسلام والثقافة الإسلامية ، على استمرار هجرة العلماء في أيام السلطان جمال الدين الثاني من سلاطين الطراز الإسلامي ، وقد نزل عدد من هؤلاء في مدينة برية عام (٨٣٤هـ /١٤٣٠هـ) ثم انتشروا في مدن دول الطراز المختلفة [٥٠] .

وبفضل هجرة العلماء واستمرارها ظلت العقيدة والثقافة الإسلامية ثابتة ، حتى في أصعب أوقات الشدة التي تعرضت لها هذه الدول في نضالها المستمر ضد حملات الصليبين عليها من وقت لآخر ، وأدى ازدهار الحركة العلمية في ربوع هذه البلاد إلى تعدد المؤلفات العلمية وكتب الفقه والحديث والتفسير . ومن أهم ما وصل إلينا منها كتاب "تاريخ عمر ولشمع وإمبراطوريته " "للشيخ أبي بكر باعلوي" ، وفتوح الحبشة لشهاب الدين الجيزاني "عرب فقيه"[٥١].

ومما ساعد على ازدهار الحركة العلمية ، وانتشار اللغة العربية في بلاد الطراز ، انتشار الطرق الصوفية وظهورها في شرقي إفريقيا في فترة العصور الإسلامية الوسيطة . وكان أوسع تلك الطرق انتشاراً الطريقة القادرية والشاذلية، بجانب طرق أخرى هي الرفاعية والأحمدية والإدريسيه وغيرها . وكانت لكل طائفة زواياها الخاصة التي يجتمع فيها المريدون للذكر ، وقد امتدت الطوائف على طول مدن الساحل وجزره ، بل وامتدت لتشمل الداخل أيضاً

. وقد ساهمت هذه الطرق بقدر وافر في نشر الإسلام والثقافة الإسلامية في ربوع الطراز الإسلامي[٥٢] .

وفي ضوء ما تقدم ، يتضح لنا أن حركة التعليم ونشر الثقافة العربية الإسلامية قد تطورت ووصلت منزلة رفيعة خلال فترة ازدهار دول الطراز الإسلامي في الحبشة ؛ لأن هذه الدول قامت على أساس إسلامي خاضع لقوانين شرعية ونظم إسلامية ، فقد كان من الطبيعي أن تدون فيها الدواوين على الطريقة الإسلامية ، وأن يكون فيها محاكم شرعية وقضاة . لذلك أدرك المستعمرون بعد دخولهم هذه البلاد أهمية اللغة العربية حيث كانت اللغة الرسمية ولغة الثقافة ، فحاولوا بكل ما يستطيعون من قوة أن يزيلوا اللغة العربية من مكانها ، فجعلوا اللغات الانجليزية والايطالية والفرنسية هي الرسمية في تلك البلاد ، وأصبحت هذه اللغات هي لغة الدواوين والمكاتب الحكومية . كما استبدل المستعمرون الحروف العربية التي كانت تكتب بها اللغات واللهجات الأفريقية بالحروف اللاتينية في المدارس الحديثة التي أنشأوها ، وشجعوا الإرساليات والطوائف المسيحية في هذه البلاد ، وسهلوا لها كل الطرق والوسائل لنشر الدين المسيحي والثقافة المسيحية . وبرغم ذلك تركت اللغة العربية أثرها البارز في شعوب أفريقية المختلفة ، ويظهر ذلك واضحاً وجلياً في لغاتهم المحلية . ولا يزال إلى اليوم آلاف الكلمات العربية المستخدمة في شرق أفريقية في مظاهر الحياة : الدينية والثقافية والاقتصادية ، وفي الحرب والسياسة ونظم الحكم والحياة الاجتماعية ، وحتى في أسماء الأعلام والمدن والحيوانات والنباتات . ولا تزال اللغة العربية متفوقة من حيث سعة الانتشار والبقاء بسبب مكانتها المقدسة؛ لأنها لغة القرآن الكريم والعقيدة الإسلامية .

وبعد ، فيتضح لنا أيضا أن أفريقية الشرقية قد كانت ومازالت جزءاً هاماً من دار الإسلام متميزاً في إطارها نابضاً بكل ما نبضت به الحضارة الإسلامية في أثناء القرون الإسلامية الوسيطة من ألوان الحياة الفكرية والعملية ونظمها السياسية والاجتماعية وإبداعاتها الأدبية والفنية ، متفاعلة معطياتها في كل تلك الأبواب مع معطيات مثيلاتها من الشعوب الإسلامية وغير الإسلامية في القارتين الآسيوية والأفريقية .

الحواشي والتعليقات

(١) للحصول على تفصيلات أكثرعن وصول ثم انتشار الإسلام في كل من بلاد الحبشة و الصومال ،انظر .جلال الدين السيوط . أزهار العروش في أخبار الحبوش . محطوط مصور عن نسخة بالأسكوريال ،ميكروفيم رقم(٢٧) تاريخ ،دار الكتب بالقاهرة؛ عبد الرحمن بن الجوزي .تنوير الغبش في فضل السودان والحبش . مخطوط مصور عن نسخةبالأسكوريال ، ميكروفيلم رقم (٢٩) تاريخ ،دار الكتب بالقاهرة ؛أبو محمد عبد الملك بن هشام .السيرة النبوية .تحقيق مصطفى السقا وآخرين (د.ت) ،جـ١ ،ص ٣٢١- ٣٢٢،ابن حجر العسقلاني .فتح الباري . تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب (د.ت) جـ٧،ص١٨٨ ؛غيثان بن علي بن جريس .بحوث في التاريخ والحضارة الإسلامية .تقديم ومراجعة الأستاذ الدكتور /سعيد عبد الفتاح عاشور(الإسكندرية ،١٩٩٤م) جـ١ ،ص ١١- ٣٧ ؛للمؤلف نفسه "تطور العلاقات السياسية والتجارية بين الحبشة وبلاد النوبة وبين الحجاز في صدر الإسلام " مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .العدد (٨) رجب (١٤١٣ هـ) ص ٤١٢- ٤٣٣.
Trimingham .Islam in Ethiopia (London,1976) pp 46 ff. J. Spencer

(٢) للمزيد من التفصيلات ،انظر :أبو الحسن علي بن الحسن المسعودي .مروج الذهب ومعدن الجوهر.(القاهرة، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤ م) جـ١ ،ص١١٢و مابعدها؛ شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموي .معجم البلدان (بيروت، ١٣٢٤هـ/١٩٠٦ م) جـ٣،ص٣٤٣ و مابعدها ؛جورج فاضلو حوراني . العرب و الملاحة في المحيط الهندي في العصور القديمة وأوائل القرون الوسطى . ترجمة السيد يعقوب بكر (القاهرة ،١٩٥٨م) ص،٥٢ و مابعدها ؛ غيثان بن علي بن جريس " العرب في مقديشو وأثرهم في الحياتين السياسية و الثقافية في ظل الإسلام "مجلة المؤرخ العربي . العدد الأول ، المجلد (١) (القاهرة ،١٩٩٣م) ص١٢٨- ١٥٨؛للمؤلف نفسه .الهجرات العربية إلى ساحل شرقي أفريقية في العصور الوسطى وآثارها الاجتماعية و الثقافية والتجارية حتى القرن الرابع الهجري (كتيب نشر من مركز بحوث كلية التربية بفرع جامعة الملك سعود بأبها ١٤١٦هـ/١٩٩٥م) ص٥و مابعدها .

(٣) محمد بن حبيب .كتاب المنمق في أخبار قريش . تحقيق خورشيد أحمد فاروق (بيروت ،١٤٠٤هـ/١٩٨٥م) ص ٤٠١ و ما بعدها ،أبو عثمان الجاحظ . التبصر بالتجارة . تحقيق حسن حسني عبد الوهاب (بيروت ،١٩٦٦م) ص٣٤ ؛إبراهيم رزقانه ،ومحمد صفي الدين. الجغرافية الطبيعية (القاهرة ، ١٩٦٣م) ص٢٩٢ و مابعدها .

(٤) للمزيد من التوضيحات انظر .ياقوت الحموي .معجم البلدان جـ٣،ص٣٤٢ و مابعدها ؛جواد علي .المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (بغداد ،١٩٧٧م) جـ١ص٤٤ و مابعدها ،أحمد فخرى .دراسات في تاريخ الشرق القديم (القاهرة ،١٩٦٣م) ص١٢٥ و مابعدها ؛غيثان بن علي بن جريس . الهجرات العربية إلى ساحل شرقي أفريقية في العصور الوسطى وآثارها الاجتماعية و الثقافية ...ص٨ ومابعدها ،للمؤلف نفسه "العرب في مقديشو ..."،ص١٢٨- ١٣١؛ جورج حوراني ،العرب و الملاحة في المحيط الهندي ، ص٢٤ و مابعدها .

Patricia Crone . Meccan Trade and the Rise of Islam ,pp.20 ff,١٢٤ ff.

(٥) وللاطلاع على تفصيلات أكثر حول علاقة العرب بالجزء الشرقي من أفريقية ، وعن انتشار الإسلام في تلك الأجزاء ،انظر .محمد بن عمر الواقدي . كتاب المغازي. تحقيق مارسدن جونس (بيروت ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م) جـ٣،ص٩٨٣ و مابعدها ؛محمد بن إسحاق الفاكهي . كتاب المنتقى في أخبار أم القرى (نشرة وستنفلد) جـ٢،(ليبزج،١٨٥٩م) ص٤٤و مابعدها ؛يوسف فضل حسن . دراسات في تاريخ السودان (جامعة الخرطوم، ١٩٧٥م) جـ١ ، ص٣و مابعدها ، غيثان بن علي بن جريس بحوث في التاريخ و الحضارة الإسلامية ، جـ١،ص١١- ٢٧ ، ٢٥٧ - ٢٧٣ ؛للمؤلف نفسه "تطور العلاقات السياسية والتجارية بين الحبشة وبلاد النوبة وبين الحجاز"،ص٤١٤ و مابعدها ؛السر سيد أحمد العراقي ."الإسلام ومراكز الثقافية الإسلامية في اثيوبيا والصومال " ندوة العلماء الأفارقة ومساهمتهم في الحضارة العربية الإسلامية ، (الخرطوم ٢٨/٣٠يوليو/تموز١٩٨٣م) (بغداد ،١٤٠٥هـ/١٩٨٥م) ص ١٦٤ و مابعدها .

Sir E.A .W .Budge .A History of Ethiopia & Abyssinia (London, 1928) VOL.I,pp.120 ff.; Trimingham, Islam in Ethiopia, pp. ٤٤ff.

(٦) ابن هشام ،السيرة ،جـ١،ص٣٢٨- ٣٣٥،محمدبن جعفر بن جرير الطبري . تاريخ الرسل والملوك .تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (بيروت ، د.ت) جـ٢،ص٣٢٨ و مابعدها ،عماد الدين ابن كثير .البداية و النهاية . (بيروت ،١٩٧٨م) جـ٣، ص٦٦ ، ٧١و مابعدها ، أحمد حفني القنائي . الجواهر الحسان في تاريخ الحبشان (القاهرة ، ١٣٢١هـ) ص؛ج؛الشاطر بوصيلي عبد الجليل . معالم تاريخ السودان ووادي النيل "القاهرة ،١٩٥٧م) ص١٦ و مابعدها .محمد محمد أمين . تطور العلاقات العربية الأفريقية في العصور الوسطى (القاهرة ،١٩٧٧م) ص٣٣ وما بعدها ،إبراهيم علي طرخان ."الإسلام والممالك الإسلامية بالحبشة في العصور الوسطى " المجلة التاريخية المصرية (القاهرة ،١٩٥٩م) المجلد الثامن ،ص٥ وما بعدها .عبد الشافي غنيم عبد القادر ."البحر الأحمر طريقاً للدعوة الإسلامية "البحر الأحمر في التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة ،أبحاث الأسبوع العلمي ١٠- ١٥ مارس ١٩٧٩م (القاهرة ،١٩٨٠م) ص٧٨و مابعدها .

(٧) للمزيد من التفصيلات انظر .المسعودي ،مروج الذهب ،جـ١،ص٥١- ٥٢؛ أحمد بن علي المقريزي . الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام (القاهرة ،د.ت) ص٢٢ و مابعدها ،أحمد حفني القنائي .الجواهر الحسان في تاريخ الحبشان ،ص ١٥- ١٦ ،يوسف فضل "انتشار الإسلام في سودان وادي النيل " ندوة العلماء الأفارقة ومساهمتهم في الحضارة الإسلامية (الخرطوم ٢٨/٣٠يوليو تموز ١٩٨٣م) (بغداد ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م) ص٢٥ و مابعدها ،غيثان بن علي بن جريس ."الهجرات العربية وانتشار الإسلام في بلاد شرق أفريقية في العصور الوسطى .مجلة المؤرخ العربي ،العدد الثالث ،المجلد (١) (القاهرة ،١٩٩٥م) ص٧٤- ٧٧،للمؤلف نفسه."سلطنة أوفات الإسلامية في العصور الوسطى (٦٠٠- ٩٠٠هـ/١٢٠٠- ١٥٠٠م)"مجلة المؤرخ المصري .العدد (١٦) (يوليو/١٩٩٦م)ص١٥٧- ١٦٠؛

Trimingham, Islam in Ethiopia,pp.5-7)C.N. Stigand. The Land of Zing(London, 1913) pp.104 ff,R.Reusch.History of East Africa, pp. 18-20; Yusuf Fadl Hassan .The Arabs and the Sudan (Khartoum, 1973) pp.59-66

(٨) أبو العباس أحمد القلقشندي .صبح الأعشى في صناعة الإنشاء (القاهر ، ١٩٠٦م)؛حسن أحمد محمود .الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا (القاهرة ، ١٩٦٣م) ص٤٣٥ و مابعدها ؛ جامع عمر عيسى .الهجرات العربية وانتشار الإسلام في بلاد وشرق أفريقية ..."ص٧١- ٧٢.

Trimingham, Islam in Ethiopoa , pp . 5 , 7 , 32 -ff. Kamerer, Abyssinie et la Mer Rauge (Le Cairo ,1929) pp.57ff.

(٩) للمزيد عن تلك الدول الإسلامية التي ظهرت في القرن الأفريقي خلال العصر الإسلامي الوسيط، انظر .المقريزي ،الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام ،ص٢١و مابعدها ؛إبراهيم طرخان " الإسلام و الممالك الإسلامية بالحبشة ..."ص٣٠ و مابعدها ؛محمد المعتصم سيد دول إسلامية في شرق أفريقيا (هرر و الصومال) (القاهرة ،١٩٦٤م) ص٢٥ و مابعدها ؛ ترمنجهام .الإسلام في شرق أفريقيا –ترجمة محمد عاطف النداوي (القاهرة ، ١٩٧٣م)ص٣٢ومابعدها.غيثان بن علي بن جريس"سلطنة أوفات الإسلامية في منطقة القرن الأفريقي و علاقاتها مع العالم الإسلامي خلال العصر الإسلامي الوسيط"،بحث منشور في كتابنا بحوث في التاريخ والحضارة الإسلامية (الإسكندرية دار السماح،١٤١٨هـ/١٩٩٧م) جـ٢،ص ١٥٧– ١٩٥ .

(١٠) للمزيد انظر ،أحمد القنائي،الجواهرالحسان في تاريخ الحشان،ص١٥و مابعدها، المقريزي،الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام،ص٢٣ و مابعدها، إبراهيم طرخان" الإسلام والممالك الإسلامية بالحبشة " ، ص٣٣و مابعدها .

(١١) حمدي السيد. الصومال قديماو حديثا (مقديشو ،١٩٦٥م) جـ١ ،ص٢٧ و مابعدها ؛إبراهيم طرخان ،الإسلام و الممالك الإسلامية بالحبشة ،ص ٣٢ و مابعدها .

(١٢) لقد أفردنا بحثين مستقلين عن مملكة أوفات الإسلامية ،أحدهما بعنوان :- "سلطنة أوفات الإسلامية في العصور الوسطى (٦٠٠- ٩٠٠هـ/١٢٠٠- ١٥٠٠م) ، وتم نشرة في مجلة المؤرخ المصري ،وقد أشرنا لهذا البحث في ملاحظة (٧) من هذه الدراسة . أما البحث الثاني فهو بعنوان :- "سلطنة أوفات الإسلامية في منطقة القرن الأفريقي وعلاقاتها مع العالم الإسلامي خلال العصر الإسلامي الوسيط " ص ١٥٨ وما بعدها .

(١٣) للمزيد انظر .محمد بن حبيب .كتاب المنمق في أخبار قريش ،ص٣٣ و ما بعدها ، محمد بن عبد الله اللواتي (ابن بطوطة) .رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار .(بيروت . ١٤٠٥ هـ/١٩٨٥م) جـ١ ، ص ٢٦٩ ومابعدها ؛حسن إبراهيم حسن . انتشار الإسلام في القارة الأفريقية (القاهرة ،١٩٦٣م) ص٢٦ و مابعدها ؛ غيثان بن علي بن جريس ."العرب في مقديشو ..." ص١٣١ و مابعدها .

(١٤) حسن أحمد محمود .الإسلام و الثقافة العربية في أفريقيا ،ص٤٣١ و مابعدها ، سير توماس أرنولد .الدعوة إلى الإسلام . ترجمة حسن إبراهيم حسن و آخرين (القاهرة ، ١٩٧٠ م) ص٣٧٢ و مابعدها، عبد القادر شيخ عبد الله. تاريخ التعليم في الصومال (مقديشو،١٩٧٨م) ص ١١ و مابعدها .

(١٥) للاطلاع على تفصيلات أكثر عن انتشار الدين الإسلامي بين الشعوب الأفريقية ،وذلك لما يتميز به الإسلام من محاسن ومناقب تختلف عن الأديان الأخرى.سير توماس أرنولد .الدعوة إلى الإسلام ،ص٢٢٣و مابعدها ،حسن إبراهيم .انتشار الإسلام في القارة الأفريقية ،ص٢٤ و مابعدها .

(١٦) للمزيد من التفصيلات عن مملكة أوفات ،انظر .غيثان بن علي بن جريس "سلطنة أوفات الإسلامية في العصور الوسطى (٦٠٠- ٩٠٠هـ..." ص١٥٣- ١٨٩ ،للمؤلف نفسه "سلطنة أوفات الإسلامية في منطقة القرن الأفريقي و علاقاتها مع العالم الإسلامي خلال العصر الإسلامي الوسيط ص ١٦٠ وما بعدها .

(١٧) انظر القلقشندي ،صبح الأعشى ،جـ٥ ،ص٣٣٢و مابعدها.

(١٨) عماد الدين أبو الفداء .كتاب تقويم البلدان (باريس ،١٨٤٠م) ص،١٦٠- ١٦١؛ القلقشندي ،صبح الأعشى ،جـ٨ ،ص١٣٠.

(١٩) أبو الفداء ،كتاب تقويم البلدان ،ص١٦٠،الشاطر بوصيلي عبد الجليل .معالم تاريخ سودان ووادي النيل ،ص٦- ٧.

Trimingham, Islam in Ethiopia,pp.58-9.

(٢٠) للمزيد من التفصيلات عن مملكة هدية .انظر :أبو الفداء ،كتاب تقويم البلدان ، ص١٦٠و مابعدها ؛زاهر رياض . الإسلام في أثيوبيا في العصور الوسطى (القاهرة ،١٩٦٤م) ص٩٥- ٩٧.
Trimingham, Islam in Ethiopia pp.60-2.

(٢١) للمزيد انظر ،إبراهيم طرخان "الإسلام و الممالك الإسلامية بالحبشة "ص٣٤- ٣٧.

(٢٢) القلقشندى ،صبح الأعشى جـ٥ ،ص٣٣٤ و مابعدها ، إبراهيم طرخان "الإسلام و الممالك الإسلامية بالحبشة ..." ص ٣٣ و مابعدها .

(٢٣) انظر ،القلقشندي ،صبح الأعشى ،جـ٥ ،ص ٣٣٥ و مابعدها ،إبراهيم طرخان "الإسلام و الممالك الإسلامية بالحبشة " ص ٣٦- ٣٨.

(٢٤) حمدي السيد .الصومال قديما و حديثاً ،ص٣٩٤ و مابعدها ،غيثان بن علي بن جريس " سلطنة أوفات الإسلامية في العصور الوسطى (٦٠٠- ٩٠٠هـ...) ص ١٥٣ و مابعدها .

(٢٥) لمزيد من التفصيلات ،انظر شهاب الدين أحمد بن عبد القادر عرب فقيه .تحفة الزمان (أو) فتوح الحبشة . مخطوط نشرة مع مقدمة بالفرنسية ،رينيه باسيه ،وحققه فهيم محمد شلتوت (القاهرة،١٣٩٤هـ/١٩٧٤م) ص٧٥- ٧٩؛فتحي غيث .الإسلام و الحبشة عبر التاريخ (القاهرة ،د.ت) ص٥٣و مابعدها .

(٢٦) انظر ،عبد الشافي غنيم عبد القادر "البحر الأحمر طريق للدعوة الإسلامية " ص٧٩ و مابعدها ؛يوسف فضل "انتشار الإسلام في السودان ووادي النيل " ، ص٢٧ و مابعدها ؛السر سيد أحمد العراقي " الإسلام و مراكز الثقافة الإسلامية في اثيوبيا و الصومال "،ص ١٦٦و مابعدها.

(٢٧) الجاحظ ،التبصر بالتجارة ،ص٣٣ و مابعدها ،شمس الدين المقدسي .أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم .تحقيق دي غوي (ليدن ،١٨٧٧م) ص٧٩ ، ٩٧، إبراهيم طرخان "الإسلام و الممالك الإسلامية بالحبشة "ص ٣٨و مابعدها .

(٢٨) عبد الرحمن زكي .الإسلام و المسلمون في شرق إفريقية (القاهرة ،١٩٦٥م) ص٧٧ و مابعدها ؛سير توماس أرنولد . الدعوة إلى الإسلام ، ص ٢٧٨ ، ٣٦٩ و مابعدها .

(٢٩) عبد الرحمن زكي ،الإسلام و المسلمون في شرق إفريقية ،ص٧٦ و ما بعدها ؛ السر سيد أحمد العراقي "الإسلام ومراكز الثقافة الإسلامية في أثيوبيا والصومال "ص١٦٨ وما بعدها .

(٣٠) لمزيد من التفصيلات ، انظر ،حسن أحمد محمود .الإسلام و الثقافة العربية في أفريقيا ،ص١٣٤ و مابعدها ،عبد الرحمن زكي .الإسلام والمسلمون في شرق أفريقية ،ص ٧٧ و مابعدها ..

(٣١) للمزيد انظر ،شهاب الدين بن فضل الله العمري .مسالك الأبصار في ممالك الأمصار. تحقيق أحمد زكي باشا (القاهرة ،١٩٢٤م) حـ١ ، ص١١- ١٢ ؛ انظر كذلك الجزء الثاني من هذا الكتاب الذي لازال مخطوطاً بجامعة الأزهر تحت رقم (٦٧٣٥/٤٤١) القلقشندى ،صبح الأعشى ،جـ٥ ،ص٣٢٣و مابعدها .

(٣٢) ابن بطوطة ،تحفة النظار في غرائب الأمصار و عجائب الأمصار ، جـ١ ،ص٦٨،و مابعدها .

(٣٣) ابن فضل الله العمري ، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ،جـ٢ ،ورقة ١٨٤و مابعدها ،ابن بطوطة . تحفة النظار في غرائب الأمصار ، جـ١ ،ص٢٦٩و مابعدها .

(٣٤) لمزيد من التفصيلات انظر ،فاضلو حوراني .العرب و الملاحة في المحيط الهندي، ص٥١ ومابعدها ؛محمد محمد أمين .تطور العلاقات العربية الأفريقية في العصور الوسطى ،ص٣٢و مابعدها ،غيثان بن علي بن جريس . بحوث في التاريخ والحضارة الإسلامية،جـ١،ص١١- ٣٧،للمؤلف نفسه "الهجرات العربية وانتشار الإسلام في بلاد شرق أفريقية " ص٧١ ومابعدها ، للمؤلف نفسه "الهجرات العربية إلى ساحل شرقي أفريقية في العصور الوسطى وآثارها الاجتماعية و الثقافية ... " ص٩و مابعدها ،للمؤلف نفسه ايضاً "سلطنة أوفات الإسلامية في العصور الوسطى (٦٠٠-

٩٠٠هـ/١٢٠٠- ١٥٠٠م) ص١٥٣- ١٨٩.

(٣٥) ابن بطوطة . تحفة النظار في غريب الأمطار ، ص٢٦٨، المقريزي، الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام ، ص٢٧ وما بعدها . محمد محمد أمين . تطور العلاقات العربية الأفريقية في العصور الوسطى ، ص٣١ وما بعدها غيثان بن علي بن جريس "العرب في مقديشو..." ص١٢٩وما بعدها.

(٣٦) ابن بطوطة ، تحفة النظار في غرائب الأمصار، جـ١ ،ص٢٦٩ و مابعدها.

(٣٧) لمزيد من التفصيلات انظر ،القلقشندى ،صبح الأعشى ،جـ٥، ص٣٢٣- ٣٢٧ ؛العمري ،مسالك الأبصار ،جـ١ ،ص١٢- ١٥ ؛زاهر رياض .الإسلام في اثيوبيا ،ص٦٤ و مابعدها ؛عبد المجيد عابدين .بين الحبشة والعرب ، ص٢٤٢ و مابعدها .

(٣٨) توماس أرنولد ،الدعوة الإسلامية ،ص٨٧،وللإطلاع على تفصيلات أكثر انظر ، محمد المعتصم سيد .دول إسلامية شرق افريقيا (هرر والصومال) ،ص٣٦ و مابعدها ،حسن أحمد محمود .الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا ،ص٤٢٦ و مابعدها .

(٣٩) انظر ، إبراهيم طرخان ،الإسلام و الممالك الإسلامية بالحبشة في العصور الوسطى ،ص٣٧- ٤٠.

(٤٠) الشاطر بوصيلي .معالم تاريخ السودان ووادي النيل،ص٥٣- ٥٥، غيثان بن علي بن جريس "العرب في مقديشو ..." ،ص١٣٢و مابعدها ؛
Trimingham, Islam in Ethiopia. Pp.18-21.

(٤١) ابن بطوطة ،تحفة النظار في غرائب الأمصار ،جـ١ ،ص٢٧٩و مابعدها .

(٤٢) لمزيد من التفصيلات ،انظر .عبد الرحمن بن خلدون .مقدمة ابن خلدون (القاهرة ،١٣٧٨هـ/١٩٥٨) جـ٢ ،ص٥٧١- ٥٧٣ ؛شهاب الدين عرب فقيه،تحفة الزمان (فتوح الحبشة) ؛ص١٧- ٢٣.

(٤٣) حمدي السيد .الصومال قديماً وحديثاً ،ص٣١٧ و مابعدها ؛حسن إبراهيم حسن .انتشار الإسلام في القارة الأفريقية ،ص٢٤٠- ٢٤٢ ، صلاح العقاد . زنجبار (القاهرة ،١٩٥٩م) ص٢٢-٢١٠؛غيثان بن علي بن جريس "سلطنة أوفات الإسلامية في منطقة القرن الأفريقي و علاقاتها مع العالم الإسلامي خلال العصر الإسلامي الوسيط...." ص ١٦٢ وما بعدها .

(٤٤) لمزيد من المعلومات ، انظر .شمس الدين الأنصاري الدمشقي .نخبة الدهر في عجائب البر و البحر (بطرسبورج ، ١٢٨١هـ/١٨٦٥) ص١٦٢- ١٦٣؛ حمدي السيد. الصومال قديماً وحديثاً ،ص٣٤٦.

(٤٥) حسن إبراهيم حسن .انتشار الإسلام في القارة الأفريقية ،ص٢٣٩- ٢٤٢.

(٤٦) المسعودي ،مروج الذهب ومعادن الجوهر ،جـ٢ ،ص٧- ٩؛المقريزي ،الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام ،ص١٣٣- ١٣٥.

(٤٧) عبد القادر شيخ عبد الله .تاريخ التعليم في الصومال (مقديشو،١٩٧٨م) ، ص١٤ و مابعدها
Freeman & Grenville,The East African Coast , pp. 39-41, Reusch, History of East Africa, pp. 154-5.

(٤٨) حسن إبراهيم حسن .انتشار الإسلام في القارة الأفريقية ،ص٢٤٦و مابعدها.
Marsh & kingsnorth .An Introduction to the History of East Africa (London ,1966)pp.31-4.

(٤٩) لمزيد من التفصيلات ، انظر.ابن بطوطة .تحفة النظار .جـ١ ،ص٩٣- ٩٤ ،١٠٧ ، ٢٦٨ و مابعدها ؛حسن إبراهيم حسن .انتشار الإسلام في القارة الأفريقية ،ص٢٤١ و مابعدها .

(٥٠) حسن إبراهيم حسن .انتشار الإسلام في القارة الأفريقية ،ص٢٤٤و مابعدها ،
Freeman & Grenville The East African Coast
pp. 172-3; Reusch, History of East African pp. 123-129.

(٥١) شهاب الدين عرب فقيه .تحفة الزمان (فتوح الحبشة) ،ص١٧- ٢٥ .

(٥٢) Trimingham, Islam in Ethiopia pp.135-7
Marsh & Kingsnorth, An Introduction to the History of East Africa, pp. 23 ff.